ثم رد الله تعالى عليهم بقوله قل إن الأولين والآخرين يعني الآباء والأبناء لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم يعني أنهم يجمعون ويحشرون
ليوم الحساب ثم إنكم أيها الضالون يعني عن الهدى المكذبون أي بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل إنه عام في كل ضال مكذب لآكلون
من شجر من زقوم تقدم تفسيره فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم يعني الإبل العطاش قيل الهيم
الهيام داء يصيب الإبل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الأرض ذات الرمل التي لا تروى بالماء قيل يلقى على أهل
النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون هذا نزلهم يعني ما ذكر من الزقوم والحميم أي رزقهم وغذاؤهم يوم الدين يعني
يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم بالبعث بقوله تعالى نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئا وأنتم تعلمون ذلك فلولا أي فهلا تصدقون يعني
بالبعث قوله عز وجل أفرأيتم ما تمنون يعني ما تصبون في الأرحام من النطف أأنتم تخلقونه أي أنتم تخلقون ما تمنون بشرا أم نحن
الخالقون أي أنا خلق النطفة وصورها وأحياها فلم تصدقون بأنه واحد قادر على أن يعيدكم كما أنشأكم احتج عليهم بالبعث
بالقدرة على ابتداء الخلق نحن قدرنا بينكم الموت يعني الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا وغير ذلك
من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه أنه جعل أهل السماء وأهل الأرض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى
قدرنا قضينا وما نحن بمسبوقين يعني لا يفوتني شيء أريده ولا يمتنع مني أحد وقيل معناه وما نحن مغلوبين عاجزين عن إهلاككم
وإبدالكم بأمثالكم وهو قوله تعالى على أن نبدل أمثالكم أي نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم في أسرع حين وننشئكم أي نخلقكم فيما لا تعلمون أي
من الصور والمعنى نغير حليتكم إلى ما هو أشنع منها من خلق شيء وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم أي
إن أردنا أن نفعل ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد فيما لا تعلمون في حواصل طيور سود كأنها الخطاطيف تكون ببرهوت وهو واد
باليمن وهذه الأقوال كلها تدل على المسخ وعلى أنه لو شاء أن يبدلهم بأمثالهم من بني آدم قدر ولو شاء أن ينشئهم في غير صورهم قدر وقال
بعض أهل المعاني هذا يدل على النشأة الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الإنشاء الأول
من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على أن ننشئكم في وقت لا تعلمون يعني وقت البعث والقيامة
وفيه فائدة وهي التحريض على العمل الصالح لأن التبديل والإنشاء هو الموت والبعث إذا كان ذلك واقعا في الأزمان لا يعلمه
أحد فينبغي أن لا يتكل الإنسان على طول المدة ولا يغفل عن إعداد العدة ولقد علمتم النشأة الأولى أي الخلقة الأولى ولم تكونوا شيئا وفيه
تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة فلولا تذكرون بأني قادر على إعادتكم كما قدرت على ابتدائكم أول مرة قوله تعالى أفرأيتم ما تحرثون
لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق وما فيه من الدلائل على الوحدانية ذكر بعده الرزق لأن به البقاء وذكر أمورا ثلاثة المأكول والمشروب وما به
إصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول أولا لأنه هو الغذاء وأتبعه المشروب لأنه به الاستمراء ثم النار التي بها
الإصلاح وذكر من أنواع المأكول الحب لأنه هو الأصل ومن المشروب الماء لأنه أيضا هو الأصل وذكر من المصلحات النار لأن بها إصلاح
أكثر الأغذية فقوله أفرأيتم ما تحرثون أي تثيرون من الأرض وتلقون فيها البذر أأنتم تزرعونه أي تنبتونه وتنشئونه
حتى يشتد ويقوم على سوقه أم نحن الزارعون معناه أأنتم تفعلون ذلك أم الله ولا شك في إيجاد الحب في السنبل ليس بفعل أحد غير الله تعالى
وإن كان إلقاء البذر من فعل الناس لو نشاء لجعلناه يعني ما تحرثون وتلقون فيه من البذر حطاما أي تبنا لا قمح فيه وقيل
هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرثه ونبذره بأنفسنا فيصير زرعا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد
الله على هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهل أنتم تقدرون على حفظه وهو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات
لبينا لا بإذن الله وحفظه فظلتم تفكهون أي تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على
ما سلف منكم من المعاصي التي أوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو التلهف على ما فات إنا لمغرمون أي حذف
القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه مولع بنا وقال ابن عباس لمعذبون يعني أنهم عذبوا بذهاب أموالهم
بغير فائدة والمعنى أنا غرمنا الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض بل نحن محرومون أي ممنوعون والمعنى حرمنا الذي كنا
نطلبه من الريع الكثير في الزرع أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ذكرهم الله تعالى نعمه بإنزال

المطر

المطر الذي لا يقدر عليه إلا الله عز وجل لو نشاء جعلناه أجاجا قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه فلولا أي فهلا
تشكرون يعني نعمة عليكم أفرأيتم النار التي تورون يعني تقدحون من الزند أأنتم أنشأتم شجرتها يعني التي تقدح منها النار
وهي المرخ والعفار وهما شجرتان يقدح منهما النار وهما رطبان وقيل أراد جميع الشجر الذي يوقد به النار أم نحن
المنشئون نحن جعلناها يعني نار الدنيا تذكرة أي للنار الكبرى إذا رآها الرائي هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف
عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقدون
جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال فإنها فضلت عليها بتسعة وستين
جزءا كلها مثل حرها ومتاعا للمقوين يعني للمسافرين والمقوي النازل في الأرض القواء وهو القفر الخالية البعيدة من
العمران والمعنى أنه ينتفع بها أهل البوادي والسفار فإن منفعتهم بها أكثر من المقيم فإنهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي
بها الضال إلى غير ذلك من المنافع هذا قول أكثر المفسرين وقيل للمقوين المستمتعين بها في الظلمة ويصطلون بها من البرد
وينتفعون بها في الطبخ والخبز إلى غير ذلك من المنافع وقيل المقوي من الأضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني
مقو لقوته على ما يريد والمعنى فيها متاعا ومنفعة للفقراء والأغنياء جميعا لا غنى لأحد عنها فسبح باسم ربك لما ذكر
ما يدل على وحدانيته وقدرته وإنعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون خطابا
لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك أي برئ اسمه ونزهه عما يقول المشركون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات
والمعنى فسبح بذات ربك العظيم قوله عز وجل فلا أقسم قال أكثر المفسرين معناه فأقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على
أصلها وفي معناها وجهان أحدهما أنها ترجع إلى ما تقدم ومعناه النهي وتقديره ومعناه فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته
من النعم والحجج الوجه الثاني أن لا رد لما قاله الكفار في القرآن من أنه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الأمر كما تقولون
ثم استأنف القسم فقال أقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل لأن لا هنا معناها النفي فهو كقول القائل لا
لا تسأل عما جرى وهو يريد تعظيم الأمر لا النهي عن السؤال بمواقع النجوم قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فإنه كان
ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل أراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل أراد منازلها وقيل
انكدارها وانتثارها يوم القيامة وقيل مواقعها في اتباع الشياطين عند الرجم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم قيل هذا
يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته
لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون فاعلموا عظمته وقيل إنه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى
فأقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم أي إن الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآن كريم
أي عزيز مكرم لأنه كلام الله تعالى ووحيه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من شأنه أن يعطي
الكثير وسمي القرآن كريما لأنه يفيد الدلائل التي تؤدي إلى الحق في الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن
كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد
منه ويحتج به والأديب يستفيد منه ويتقوى وكل عالم يطلب أصل علمه منه وقيل سمي كريما لأن كل أحد يناله
ويحفظه من كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل إن الكلام إذا كرر مرارا يسأمه السامعون ويهون
في الأعين وتمله الآذان والقرآن كريم عزيز لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الرد ولا يمله السامعون ولا
يثقل على الألسنة بل هو غض طري يبقى أبد الدهر كذلك في كتاب مكنون أي مصون مستور عند الله تعالى في اللوح المحفوظ
من الشياطين من أن يناله سوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول
الأول أصح لا يمسه أي ذلك الكتاب المكنون إلا المطهرون وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والأحداث

Copyright © King Saud University